لماذا تحدث ظاهرة الارتخاء في ليلة الدخلة؟

يحدث ما يُسمى ارتخاء ليلة الدخلة نتيجة للضغوط النفسية والإرهاق الجسدي والعصبي في هذه الليلة، إذ أن الاستعداد للزواج وطقوس الزفاف يؤديان إلى إرهاق جسدي شديد لا يشعر به الزوج أو الزوجة نتيجة للظروف المحيطة بهما.

ولذلك يستحسن عدم ممارسة الجنس في هذه الليلة، بل يكون من الأفضل أخذ راحة تامة والحصول على قسط كاف من النوم، لتعويض الإرهاق الذهني والجسدي قبل وأثناء الزفاف.

وتكون الزوجة والزوج في حالة خوف من العملية الجنسية الأولى، وذلك لاعتقاد الزوجة أن عملية فض البكارة مصحوبة بألم شديد، ولاعتقاد الزوج بأنه مقدم على عمل كبير سيؤدي إلى نزف وإحداث ألم.

هذا الشعور الذي ينتاب الزوجين يجعلهما في حالة نفسية غير مواتية للاتصال الجنسي الناجح، إذ أن الزوج يعتبر أن الاتصال الجنسي في ليلة الدخلة هي في الأساس فض البكارة وليس الهدف الصحي وهو قضاء الرغبة الجنسية.

وعلاوة على ذلك شعور الزوج بانتظار الأقارب وما ستسفر عنه ليلة الدخلة بنجاحه في فض البكارة يؤدي إلى شعوره بالخوف من فشله في إتمام ما هو مطلوب منه.

أما إذا أخذت الأمور ببساطة فإن كل شيء يتم بصورة طبيعية، بمعنى أن يشعر الزوج والزوجة بلذة الاتصال الجنسي، وهذا يؤدي إلى إتمام عملية فض البكارة دون ألم، وفي بعض الحالات عندما يفشل الزوج في فض البكارة في ليلة الدخلة فإنه قد يعتقد أنه مصاب أو أصيب بضعف جنسي، وهذا الشعور في حد ذاته يؤدي إلى استمرار الضعف الجنسي.

وأهم ما ينبغي أن يراعيه الزوج في ليلة الزفاف مراعاة عواطف زوجته، فقد تركت عشها الذي درجت فيه إلى عش جديد لم تألفه بعد فقد تشعر بالوحشة والحياء.

لهذا كله يجب على الزوج أن يكون لبقًا جدًا، فيجعل من ليلة الزفاف ليلة تقوية روابط الصداقة والحب، لا ليلة إزعاج وإظهار المقدرة والرجولة بصورة فجائية وسريعة، عليه ألا يقوم على العملية الجنسية إلا إذا وجد استعدادًا ورغبة وتعاطفًا من رفيقة حياته، وإلا أجلها إلى وقت آخر.

وإذا كانت المداعبة (أو الملاعبة) لها تأثيرها الخاص على الزوجة لإعدادها لعملية الجماع، فلها أهميتها أيضًا في التأثير على الرجل لكي يكمل انتصاب عضوه الذكري، فعلى الزوج مهمة عدم الإيلاج إلا بعد تمام الانتصاب، وإحساسه باستسلام زوجته له، وهنا يتحقق الوفاق الجنسي.

ملاطفة الزوجة عند الدخول بها

إن الليلة الأولى من حياة الزوجين ذات خطورة في توليد الحب أو البغض، والكثير من الشباب يسيؤون التصرف في هذه الليلة، ويتخطون حدود اللياقة والكياسة، فيتعجلون تحقيق الاتصال الجنسي . . دون مقدمات لاستئناس الزوجة وإبعاد الخجل عنها بصورة تدريجية.

فمن طبيعة المرأة في مثل هذه المواقف أن تظهر نوعًا من الدلال بالإضافة إلى الخجل . . والدلال ضروري، فهو يثير عاطفة الرجل ويزيد من قوتها ونشاطها، على أن لا يزيد هذا الدلال على حد الاعتدال، وإلا سبب نفور الرجل وظنه ببغض زوجته له.

• قال مؤلف (تحفة العروس)[1]:

«ويستحسن للمرأة ليلة بنائها أن لا تفرط في التمنع على

(١) «تحفة العروس» أو الزواج الإسلامي السعيد، بقلم محمود مهدي الأستانبولي.

زوجها فيما يريد منها، ولا بأس بالامتناع الخفيف الذي يهيجه ويقوي حرصه.

فإن قوى امتناعها فربما يؤدي إلى انكسار رغبته وعجزه عن الافتضاض من ليلته تلك .. وربما تمادى انكسار رغبته أول ليلة إلى انكسارها زمنًا طويلاً، فيجب على المرأة أن تحذر كل الحذر من هذا».

أقوال وأفعال قبل الإنزال

• دعاء الدخول

قال ﷺ: «إذا تزوج أحدكم امرأة؛ فليأخذ بناصيتها (أي بمقدم رأسها) ويسم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وليدع بالبركة وليقل: اللَّهُم إنِّي أسألك من خيرها وخير ما جَبَلتها عليه (خلقتها وطبعتها عليه) وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه».

(رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه وغيرهم)

ويعلق: الأستانبولي في تحفة العروس بقوله: «وبمناسبة الكلام على وضع اليد على رأس الزوجة، والدعاء لها.. أُذكر الزوجين إلى أن الدعاء هو الوارد والمفيد في مثل هذه الحالة وحالة المرض مما هو مذكور في كتب الأذكار والأوراد (أمثال كتابي الأوراد المأثورة).

والحذر الحذر من كتابة التمائم (الحجب) ووضعها، فإنه لا فائدة منها مطلقًا فهي حرام، ومنها ما هو شرك إذا كان فيها استعانة بالجن والعفاريت، كما هو شأن كثير من التمائم، وفي مثلها قال النبي ﷺ: «من علق تميمة فقد اشرك» (حديث صحيح رواه الإمام أحمد والحاكم عن عقبة بن عامر).

صلاة الزوجين معًا

قال عبد الله بن مسعود يُوصي رجلاً تزوج شابة بكرًا، وقد خشي أن تبغضه: «إذا اتتك، فأمرها ان تصلي وراءك ركعتين، وقل: اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم فيَّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرق بيننا إذا فرقت بخير».

(رواه ابن أبي شيبة والطبراني بسندين صحيحين)

لاشك أن في هذه التوجيهات علاوة على الدعاء والصلاة .. وبالإضافة إلى دعاء الولد، ما يوحي إلى الزوج والزوجة إلى أن الغاية الأولى من الزواج الذي بدأ في هذه الليلة، ليست المتعة فقط، بل أداء واجب ديني أيضًا وإنجاب أطفال يملون البيت تغريدًا وجمالاً في صغرهم، ويخدمون دينهم وأمتهم في كبرهم بفضل تربيتهما لهم.

وهكذا يرفع الإسلام من معنويات الزوجين في هذه الليلة ويجعل مفهوم العمل الجنسي فوق اعتبار اللذة الحيوانية التي هي وسيلة، لا غاية.

كل ذلك يدعو الزوجين إلى التخفيف من إسرافهما في طلب اللذة وإدخار قواهما لأداء مهمتهما المقدسة.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة: قالت أسماء بنت يزيد بن السكن: «قنيت[1] عائشة لرسول الله ﷺ ثم جئته، فدعوته

---

(١) أي ازينت للنظر إليها مجلوة مكشوفة، والجلوة عادة عربية وإسلامية وقد جلا النسوة عائشة للنبي ﷺ.

بخُلوَتها، فجاء إلى جنبها فأتى بعُس (قدح) لبن، فشرب، ثم ناولها النبي ﷺ فخفضت رأسها واستَحْيتْ . .».

قالت أسماء: «فانتهزتها وقلت لها: خذي من يد النبي ﷺ»، قالت: «فأخذت فشربت شيئًا ثم قال لها: «أعطي تريك (صديقاتك)». الحديث.

(رواه أحمد، وهو حديث صحيح)

• **ويعلق صاحب (تحفة العروس) بقوله:** وهكذا تمت حفلة الزفاف وانتهت بدون تكلف وبكل بساطة: غناء متزن، ودف لإعلان النكاح، وقدح كبير من اللبن، وهو ما تيسر، فأين هذا مما يفعله اليوم الكثيرون فينفقون الأموال الضخمة وربما استقرضوها بالربا للرياء والفخر، فيكبدون الرجل النفقات الباهظة التي تثقل كاهله، وقد تطوح بمستقبله ومستقبل أسرته أيضًا . . زد على ذلك ما يرافق هذه الحفلات من محرمات كاختلاط الرجال والنساء وهن شبه عاريات، وإحضار المغنيات الفاسقات ومعاقرة الخمور، كل ذلك لإرضاء الناس ولو بغضب الله.

تجريد الزوجة من ثيابها

وذلك من قبل الزوج بعد أن تأنس بالحديث معه وبعد ملاطفتها وذهاب روعها واستسلامها له .. يتحسس مواضع جسمها بخفة يديه، ويقبل منه ما يشاء .. ويتم الإيلاج بعد تمام الاستسلام.

• قال صاحب (نثر الدر) وأبو الفرج في (الأغاني): لما أهديت إحدى العرائس إلى زوجها وكان خليفة وكان أخوها قد زوجها منه ووضع لها سريراً إلى جانب سريره، فجلست عليه، ثم قال لها: إما أن تقومي إليَّ وإما أن أقوم إليك، فقامت إليه وجلست معه، فوضع قلنسوته وقال: لا يردعك ما ترين من صلعي، فإن وراء ذلك ما تحبين؟ فقالت: إني من نسوة أحب أزواجهن إليهن الكهول، الصلع .. فأمرها أن تخلع ثيابها قطعة فقطعة بالتدريج .. ثم قال: حلي إزارك، قالت: ذاك إليك (أي هذا وظيفتك بأن تحله بنفسك) قال: صدقت .. فبني بها فأعجبته.

وبمناسبة الكلام عن تجريد الزوجة من ثيابها، قالت إحدى العالمات النفسيات ـ وتدعى ماري ستوب ـ وهي تعبر عن رغبة بنات جنسها: «.. ويجب على الرجل أن يتجرد هو من ثيابه أيضًا بشكل لا يدعو إلى العجب، بل بشكل عادي وبصورة تدريجية، لأنه لا يجوز مطلقًا أن تكون الزوجة عارية، وهو بكامل ثيابه، حتى لا تفسر الزوجة هذا تفسيرات خاطئة ..».

خلع الثياب كلها حين الجماع

ـ جاء في كتاب تحفة (العريس والعروس): من آداب الجماع أن لا يجامع زوجته وهي في ثيابها، بل حتى تنزعها كلها، وتدخل معه في لحاف واحد، وأن لا يجامعها وهما مكشوفان، بحيث لا يكون عليهما شيء يسترهما[1]، (لأن الله أحق أن يستحيا منه).

---

(١) وكما هو معروف فإن الشيطان لا يستطيع كشف المستور، ويؤيد ذلك ما جاء في السنة من توجيهاته ﷺ بتغطية الطعام قبل النوم. فستر الزوجين منه فوائد منها: عدم عبث الشيطان.

وكان ﷺ عند الجماع يغطي رأسه ويغض صوته، ويقول للمرأة: عليك بالسكينة.

وقد قال الخطاب: «ينبغي للمجامع أن يستتر هو وأهله بثوب واحد، سواء كان مستقبلاً القبلة أم لا».

ولاشك في أن التجريد من الثياب فوائد، منها أن فيه راحة البدن من حرارة النهار، ومنها سهولة التقلب يمينًا وشمالاً، ومنها إدخال السرور على الأهل بزيادة التمتع[1].

وقد قال «ابن يامون» في قصيدته:

واحذر من الجماع في التياب

فهو من الجهل لا ارتياب
بل كل عليها ـ صاح ـ ينزع

وكن ملاعبًا لها لا تفزع

جواز النظر إلى العورة

قد يقول قائل كيف يصح تعرية المرأة وقد جاء في الحديث: «إذا جامع أحدكم زوجته أو جاريته، فلا ينظر إلى

(١) من كتاب «قرة العيون».

فرجها، فإن ذلك يورث العمى». إن هذا الحديث موضوع كما قال الإمام ابن الجوزي في كتابه: (الموضوعات).

والنظر الصحيح يدل على بطلان هذا الحديث، فإن تحريم النظر بالنسبة للجماع من باب تحريم الوسائل! فإذا أباح الله تعالى للزوج أن يجامع زوجته، فهل يعقل أن يمنع من النظر إلى فرجها؟! اللهم لا.

ويؤيد هذا من النقل حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه واحد، تختلف أيدينا فيه، فيبادرني حتى أقول: دع لي دع لي»، وهما جُنبان.
(أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما)

فإن الظاهر من هذا الحديث جواز النظر، ويؤيده رواية ابن حبان من طريق سليمان بن موسى أنه سئل عن الرجل ينظر إلى فرج امرأته، فقال: سألت عطاء، فقال: سألت عائشة فذكرت هذا الحديث بمعناه.

قال الحافظ في (الفتح - ١/ ٢٩٠): «وهو نص في

جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه». وإذا تبين هذا فلا فرق حينئذ بين النظر عند الاغتسال أو الجماع، فثبت بطلان الحديث.

- ويؤيد ذلك حديث معاوية بن حيدة قال: قلت يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك ...**» الحديث.

(رواه أبو داود والترمذي والنسائي)

ما يقول الزوج عند الجماع

ينبغي أن يقول حين يأتي أهله: «**بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا**» (رواه البخاري).

قال النبي ﷺ: «**فإن قضى الله بينهما ولداً، لم يضره الشيطان أبداً**» (رواه البخاري وغيره).

فما أروع هذا التوجيه النبوي الذي يدعو إلى البداءة بذكر الله حين العملية الجنسية، للاعلان عن هدفها

السامي وطهارتها، بخلاف نظرية بعض الديانات الأخرى التي تعتبر هذه العملية قذارة ولوثة، مما هو يصادم مع الفطرة السليمة.

ماذا بعد الجماع؟!

نلفت الانتباه هنا إلى أهمية فترة الملاعبة بعد الجماع، فقد قال الدكتور (فان ديفيد) في كتابه (الزواج المثالي): «لهذه الملاعبة أهمية كبرى في العلاقات الجنسية، ومن المؤسف أنها لا تنال إلا الإهمال، فمن عادة كثير من الأزواج أن يتباعدا بعد الجماع مباشرة، ولا سبب لذلك إلا الجهل أو الإهمال، فيدير الرجل وجهه ويستغرق في النوم، بينما تشعر الزوجة بهبوط تلهفها الجنسي تدريجيًا، فيحرم الزوج نفسه من أعظم الفترات العاطفية، كما يفسد على زوجته استمتاعها بمشاركة تلك اللحظة وحنانها الجميل، وحاجتها الأكيدة إلى المداعبات والقبل والكلمات الحلوة التي تطلبها المرأة أكثر من الاستمتاع الجسدي».

لذلك يجب على الزوج الاستمرار في إمتاع زوجته ومداعبتها بعد إشباع رغباته، ويكفي أن يمنحها كلمة حب أو قبلة أو لمسة رقيقة أو عناقًا.

بين الآمال والآلام .. في ليلة الأحلام

لقد كان (ومازال) الجهل في التعامل مع غشاء البكارة سببًا في كثير من حوادث الطلاق.

وسوء سلوك الزوج في هذه الليلة يؤدي إلى مآس مؤلمة، فبدلاً من الأحلام الوردية، تصاب الزوجة بصدمات عصبية وعقد نفسية.

• **كثير من الأزواج يتعجل من أمره فيخطئ بالآتي:**

(١) يضع همه كله في إزالة البكارة في الليلة الأولى، بأي طريق وعلى أي شكل . . !!

(٢) لا يحسن استقبال زوجته التي يحفها في هذه الليلة

شعور بالخوف والتهيب .. فيبدأ حياته بإغتصاب وبدون أي مقدمات.

(٣) ينتظر من زوجته أن تقبل هذا الأمر بحكم الواقع، وترضى به وبدون ضياع للوقت!!

وإن اعتبر البعض أن في مثل هذا السلوك رجولة، فالإسلام يحكم بأن الرفق بالإنسان (بل بالحيوان) من الرجولة أيضًا!

ولما لا وهو القائل ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣).

أما أن يجب على المرأة أن تقبل ـ وبدون مقدمات ـ إزالة أعز ما تملك من غير مقاومة ما، فذلك قضاء على فطرتها، ومحاربة لطبيعتها ..!